مقالات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.43].

أهمية دراسة التاريخ وعلاقتها بالتنمية الاقتصادية المستدامة في اليمن طريق اللبان، طريق الحرير، تجارة البن

د. رياض محمد أحمد الصفواني
دائرة الدراسات التاريخية
مركز الدراسات والبحوث اليمني
صنعاء – الجمهورية اليمنية

مُلَخّص

يتناول البحث أهمية دراسة التاريخ لخطط وبرامج التنمية الاقتصادية المستدامة. ويهدف البحث إلى الإجابة على سؤال إشكالي رئيس مفاده: ما الأهمية التي تمثلها دراسة التاريخ لنجاح خطط وبرامج التنمية الاقتصادية المستدامة في اليمن؟ أو بصيغة أدق ما العلاقة بين دراسة التاريخ وبين مشروعات التنمية الاقتصادية المستدامة في بُعدها التجاري؟ ولتحقيق هدف البحث -بالاعتماد على المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي- نحدد بإيجاز مفهوم التاريخ بصفته العلمية والغاية من دراسته، والعلاقة التي تربطه بمختلف العلوم الإنسانية النظرية والتطبيقية، ثم ننتقل في المحور الثاني إلى تحديد مفهوم التنمية المستدامة أهدافها ومنطلقاتها ومعوقاتها، لنصل في المقاربة النهائية ضمن المحور الثالث إلى معرفة أهمية دراسة التاريخ وجدواها لنجاح خطط ومشروعات التنمية الاقتصادية المستدامة حاضرًا ومستقبلاً. وقد خلص البحث إلى أن دراسة تجارب الإنسان في الماضي تساعد في التعرف على أنماط التفكير لدى الإنسان القديم، وسلوكه المنبثق عنها، بهدف التعرف على مواطن القوة، لاستلهامها في النهوض بالواقع المعاصر، وتجاوز مواطن الخطأ عند رسم السياسات التنموية في الحاضر واستشراف المستقبل، وأكد البحث على أهمية موقع اليمن الاستراتيجي، وما حققه ذلك الموقع من رخاء، وتواصل مع شعوب العالم، من خلال طريق اللبان والحرير وتجارة البن، وأوصى بالاستفادة من موقع اليمن وإمكاناته الاقتصادية لتحقيق التنمية المستدامة.

بيانات المقال:

تاريخ استلام المقال: ١٦ يونيو ٢٠٢٢
تاريخ قبول النشر: ٢١ أغسطس ٢٠٢٢

كلمات مفتاحية:

مفهوم التاريخ؛ التنمية المستدامة؛ طريق الحرير؛ الحضارات؛ تاريخ اليمن

معرِّف الوثيقة الرقمي: 10.21608/KAN.2022.296762

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

رياض محمد أحمد الصفواني، "أهمية دراسة التاريخ وعلاقتها بالتنمية الاقتصادية المستدامة في اليمن: طريق اللبان، طريق الحرير، تجارة البن".- دورية كان التاريخية.- السنة الخامسة عشرة- العدد السابع والخمسون؛ سبتمبر ٢٠٢٢. ص ٢٢ – ٣٢.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: aljbar7@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّوريةُ كَان التَّاريْخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةُ

يهدف البحث إلى الإجابة على سؤال إشكالي رئيس مفاده: ما الأهمية التي تمثلها دراسة التاريخ لنجاح خطط وبرامج التنمية الاقتصادية المستدامة في اليمن؟ أو بصيغة أدق ما العلاقة بين دراسة التاريخ وبين مشروعات التنمية الاقتصادية المستدامة في بُعدها التجاري؟

والإجابة على هذا السؤال والأسئلة المنبثقة عنه تتطلب التركيز على معطيات ثلاث وفق تسلسلها الزمني وهي: طريق اللبان، وطريق الحرير، وتجارة البن. بوصفها معطيات حققت شهرة واسعة لليمن على مر العصور، انطلاقًا من فرضية العلاقة الوثيقة التي تربط بين علم التاريخ في صورته التطبيقية الشاملة لسائر جوانب الحياة وبين الخطط والبرامج العملية لمفهوم التنمية الاقتصادية المستدامة، وهي الخطط التي تندرج في سياق دور الفرد وإسهامه في تشكيل الواقع بأبعاده وجوانبه المختلفة ضمن التحقيب الزمني.

وعلى الرغم من الأهمية العلمية لموضوع بحثنا فإنه لم يلقَ حظه من الاهتمام من جانب الدارسين والباحثين في تاريخ اليمن، ولم تطرقه الدراسات إلا من زوايا محددة يغلب عليها التناول المفهومي المجرد لفكرة التنمية المستدامة وأبعادها ومؤشراتها ضمن التخصصات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، مثل كتاب "التنمية المستدامة، مفهومها، أبعادها، مؤشراتها"، للمؤلف د. مدحت أبو النصر. والكتاب الصادر عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بعنوان "العالم الإسلامي والتنمية المستدامة". وبهذا المعنى فإن الموضوع يُعَدّ جديدًا في ميدان الدراسات التاريخية، وذلك لاتصال مضامين محاوره بفكرة التنمية الاقتصادية المستدامة، التي تنضوي في إطار علوم مساعدة لعلم التاريخ، وفي مقدمتها علم الاجتماع وعلم الاقتصاد.

ولتحقيق هدف البحث -بالاعتماد على المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي- يجدر بدايةً أن نحدد بإيجاز مفهوم التاريخ بصفته العلمية والغاية من دراسته، والعلاقة التي تربطه بمختلف العلوم الإنسانية النظرية والتطبيقية، ثم ننتقل في المحور الثاني إلى تحديد مفهوم التنمية المستدامة أهدافها ومنطلقاتها ومعوقاتها، لنصل في المقاربة النهائية ضمن المحور الثالث إلى معرفة أهمية دراسة التاريخ وجدواها لنجاح خطط ومشروعات التنمية الاقتصادية المستدامة حاضرًا ومستقبلاً.

المحور الأول: مفهوم التاريخ وأهميته والعلوم المساعدة له (إطار نظري)

التاريخ لغةً يعني الوقت أو التوقيت، أي أنه يشير إلى الزمن أو البداية الزمنية، وهو علم من العلوم الإنسانية قائم بذاته، موضوعه الإنسان فكرًا وسلوكًا، وهو بمعنى من معانيه المترادفة وعاء يستوعب كل تجارب الإنسان الماضية في سائر جوانب حياته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والفكرية والفنية، ولا يستغني عنه علم من العلوم التي تختص بدراسة تلك الجوانب نظرية كانت أم تطبيقية، لأن لكل علم تاريخ، والمقصود هنا توقيت البداية، فالطبيب قبل أن يشخص حالة المريض يسأله أولاً متى كانت بداية مرضه؟ وهناك ما يسمى "التاريخ المرضي". كما أنه لا غنى للتاريخ بصفته العلمية عن كل تلك الجوانب، فهي روافد تصب في مجراه العميق، ويفيد منها المؤرخ كعلوم مساعدة، فعند دراسة ظاهرة الهجرة الداخلية أو الخارجية تاريخيًا يأتي العامل الاقتصادي (بما ينطوي عليه من فقر وشحة في الموارد) في مقدمة الأسباب، وعند الوقوف على أسباب الهزائم والانتصارات العسكرية يؤخذ العامل الجغرافي (خصوصية وطبيعة تضاريس أرض المعركة) بعين الاعتبار، وعند التأمل في وقائع الانقلابات العسكرية وغير العسكرية فإن الجانب السياسي (التطلع للسلطة والنفوذ) لا يمكن إغفاله، وعند التأريخ للفرق والمذاهب والتيارات والحركات الدينية وغير الدينية فإن للبعد الفكري حضوره المؤسس والحاضن، الذي لا يمكن تجاهله. والمشتغل بالعلوم النظرية الحديثة يرجع إلى التاريخ ليفيد منه في معرفة البداية الزمنية للفكرة، أو الإشكالية العلمية التي يدرسها، فالتاريخ يدرس علم اجتماع الماضي، وعلم الاجتماع يدرس تاريخ الحاضر،[1] مع عدم إغفال التأصيل للحاضر بشيء من الماضي، وعلم السياسة يدرس وقائع سياسة الزمن الراهن، أو القريب من الراهن، مع العودة التأصيلية للحاضر في قلب الماضي غير البعيد،[2] وهنا يتجلى الربط التاريخي بين الماضي والحاضر.

يقدم علم التاريخ تصوّرًا واضحًا عن المجتمعات القديمة، والتجارب التي مرَّ بها الإنسان قديمًا، ومن ثم تصبح هذهِ الدراسة سياجًا يحمي إنسان اليوم من الوقوع في ما وقعَ فيه الأقدمون من أخطاء جرّت عليهم الويلات والدمار.[3] وبهذا المعنى، فإن علم التاريخ بما ينطوي عليه من علوم مساعدة يقدم في المُجمل دروس ماضية تُفيدنا لتسيير دفة شؤون الحاضر، والتخطيط الجيد للمستقبل، فعند معرفة سيرورة الحضارات القديمة، وكيفية نشأتها، وعوامل ازدهارها، وأسباب

اندثارها، فإنّنا نختصر على أنفسنا العديد من التجارب، ونتحاشى الخطأ السابق، ونمضي قُدُمًا نحوَ ما أراهُ التاريخ لنا مُناسبًا.[٤]

ومن نافلة القول، إن من طبيعة علم التاريخ أنه مستودع يحفظ تراث الأمم، على خصوصية وأهمية وفائدة ذلك التراث، بما يحويه من قنوات معرفية عقلية ونقلية، ومن آداب وفنون وعادات وتقاليد، بعضها ذات ملامح ثقافية مشتركة، في إطار هُوية أممية واحدة، كالهوية العربية الواحدة - على سبيل المثال - والبعض الآخر يتصل بخصوصيات ثقافية محدودة، تتعلق بهذا المجتمع (القُطْري) دون الآخر، وإن كان في إطار الهُوية الجامعة. وهو في الآن ذاته، يساعد على معرفة ما كان من شأن الأمم البائدة، وذلك لمعرفة الطريقة التي تقدّم بها الإنسان، والتي نتجت في الأساس عن تقدّم العقل البشري، وما صاحبه من تقدم في النظريات، والفلسفات، والعلوم والأفكار المختلفة، إلى أن وصلت كلها إلى ما وصلت إليه اليوم من تغيرات وتطورات شاملة.

ويفيد علم التاريخ في معرفة الأفراد في زمنهم الراهن ما ينفعهم، من أجل استدامة أفكارهم، وعلومهم، وحضاراتهم، فالناس مرتبطون بشكلٍ أو بآخر بالتاريخ. وإن حاولنا التعمّق في بعض الحضارات نجد أنّ التاريخ له أهميّة عظيمة في راهن أبنائها، ذلك أنّهم يعتمدون على القدماء في كلّ صغيرة وكبيرة، على النحو الذي يحصل في الحضارات مثلاً، ومنها على وجه التحديد الحضارات المبنية على الأديان التوحيدية، كما يفيد بعض مؤرخي الحضارات،[٥] فالنصوص الدينية تبدأ بالكتب السماوية، وتأخذ بالتطور شيئًا فشيئًا إلى أن يصير تراثًا كاملاً، يتضمن العديد من المصنفات العلمية.

ومن هذا المنطلق، فقد قدّم التاريخ نماذج حية للناجحين، يمكن لإنسان اليوم أن يستلهمها، وأن يرى بها نفسه في أي زمان ومكان، فالتاريخ يحوي معلومات شتى عن الأنبياء، والرسل، والعلماء، والمفكّرين، والحكماء، والمبدعين في سائر نواحي الحياة، والذين استطاعوا إضافة الشيء الكثير للتاريخ. وهم من وضعوا لبنات الحضارة، وأسهموا في صناعتها وصياغة معالمها، كلٌ من موقعه الثقافي النظري والتطبيقي الذي يشغله، ولذلك فإن الصورة شبه المتكاملة التي يختزلها التاريخ بين طياته، هي صورة المساهمين في ركب الحضارة، الذين ينبغي التركيز عليهم عند التأريخ للحضارة بمعناها الشامل، لا التأريخ للساسة الحكام، الذين ينزعون إلى الاستبداد، وتقودهم دكتاتوريتهم في الغالب إلى اختزال عناصر ومظاهر الواقع في شخوصهم، فيحلون ذواتهم محل العناصر الفاعلة والمؤثرة في صناعة الواقع، ومَن لهم دور أساسي في صياغة وتشكيل الحضارات الإنسانية. والتاريخ في مقاربته لهذا المعنى هو الصورة الفكرية للحضارة ينشرها للناس مقدمًا لهم الحساب عن نشاط الفكر الإنساني في ماضيه عن تراث الآباء والأجداد، معبرًا عنهم بالقول: "هاكم اقرؤوا كتابية"[٦] ولأنه من غير اليسير قيام الحضارات، "فإن الظروف الصعبة لا السهلة هي التي تستثير في الأمم قيام الحضارات"،[٧] وبالمحصلة فإن قيام الحضارات، ودور الإنسان في نشأتها، واتساع مداها، مع إسهام كافة العلوم الإنسانية في صناعتها، وفي التوثيق التاريخي لها، من شأنها جميعًا أن تصب في بوتقة التنمية المستدامة، التي تُعنى بمنفعة الفرد، والمجتمع على حد سواء.

المحور الثاني: مفهوم التنمية المستدامة وأهدافها ومعوقاتها

تشير لفظة "التنمية" لغةً إلى الزيادة والنماء والوفرة والمضاعفة والإكثار،[٨] ومن خلال الوقوف على بعض المفاهيم التي تُعنى بمفهوم التنمية المستدامة (Sustainable Development) وهو المفهوم الذي نشأ وتبلور في أعقاب الحرب العالمية الثانية - رغم قدم مضمونه في تاريخ البشر - يتضح أن التنمية المستدامة تتضمن نشاط جامع شامل للأفراد في كافة قطاعات العمل، سواء في مؤسسات الدولة، أو في المنظمات ومؤسسات المجتمع المدني، أو حتى لدى الأفراد، حيث تتشكل عملية تحسين ظروف الواقع، والارتقاء بمستوى طاقات وقدرات الأفراد، من خلال دراسة الماضي والتعلم من تجاربه، وفهم الواقع وتغييره نحو الأفضل، والتخطيط الجيد للمستقبل، وذلك عن طريق الاستغلال الأمثل للموارد، والطاقات البشريّة، بما في ذلك المعلومات والبيانات، والإحصاءات والمعارف، التي يمتلكها المقيمون على عملية التنمية بصفة عامة والتنمية الاقتصادية بصفة خاصة، مع الحرص على أهمية التعلم المستمر، واكتساب الخبرات والمعارف.[٩] ولا تقتصر التنمية على مجال واحد من المجالات الحياتيّة، بل تشمل التنمية الاجتماعيّة والاقتصادية والسياسية والعسكريّة والنفسية والعقلية والطبيّة والتعليمية والإعلامية والتقنية والفنية والحرفية وغيرها، بحيث تهدف جميعها بشكل رئيس إلى رفع وتحسين مستوى المعيشة لدى الأفراد والمجتمعات، وضمان معيشة أفضل للأجيال القادمة، فالإنسان هو الثروة الحقيقية، وهو أداة التنمية وركيزتها الأساسية، وهو المستهدف ببرامجها.[١٠]

وتتطلب التنمية على سعة مفهومها بيئة هادئة ومستقرة، فالاضطرابات والنزاعات والحروب المحلية والخارجية، وما ينبثق عنها من آثار، وتداعيات عامة، بالإضافة إلى الفقر والبطالة والأمية والفساد وضعف الأداء الإداري والديون والأوبئة والثأر والنزاعات الأهلية والتضخم السكاني وشحة الموارد الطبيعية أو تدهورها واستنزافها،[11] من شأنها جميعًا أن تشكل بيئة طاردة ومعيقة لتنفيذ خطط وبرامج التنمية المستدامة، وهو ما يتطلب الوقوف أمام هذه المعوقات، من خلال دعم الحكومات والسلطات المحلية المنبثقة عنها، ومنظمات المجتمع المدني، والشركات والمؤسسات التجارية والأفراد، فضلاً عن الدور التوعوي للمؤسسات التعليمية، والثقافية والإعلامية، للاضطلاع بمهامها في معالجة هذه المعوقات وردم الفجوات، التي تحول دون تنفيذ خطط وبرامج التنمية المستدامة.

ولأن التاريخ يعنى بالتراث الحضاري بما يحويه من مكون اقتصادي، فإن لهذا التراث دور أساسي في تأكيد الذاتية الثقافية، والمحافظة على خصوصياتها وحماية هوياتها من الذوبان، والمساعدة على بناء الشخصية المستقلة للأفراد والجماعات، ومنح العمل التنموي دفعة ذاتية أقوى في الدفاع عن الشخصية الوطنية، وذلك كله عنصر أساسي في التنمية المستدامة بصفة عامة. وتقوم التنمية المستدامة على أربعة عناصر، الهدف منها توسيع اختيارات البشر:

أ. الإنتاجية، وتعني توفير الظروف للبشر ليتمكنوا من رفع وتحسين إنتاجيتهم.

ب. الإنصاف والعدالة الاجتماعية، وتعني من جملة ما تعنيه تكافؤ فرص العمل.

ج. الاستدامة، وتعني ضمان حصول الأفراد على فرص التنمية دون تجاهل أو نسيان الأجيال المقبلة.

د. التمكين، والذي يهدف إلى مشاركة الأفراد في صنع القرارات والسياسات المتعلقة بحياتهم، وفي تنفيذها وتحويلها إلى واقع معاش.[12]

ويرى بعض الباحثين أن التنمية المستدامة هي اقتصادية اجتماعية في المقام الأول، وهو ما يركز عليه هذا البحث، لكونها تهتم بتنمية الموارد، سواء كانت بشرية، أم بيئية، أم مجتمعية، وتعمل جاهدة من خلال أنشطتها على التوعية بالمحافظة عليها، واستثمارها، وخاصة في ارتباطها بالتنمية البشرية.[13] وغني عن البيان، أن من شأن ذلك أن يدفع باتجاه تعزيز الوعي بأهمية دراسة وقائع الماضي الاقتصادية والاجتماعية على وجه الخصوص، والوقوف على أبعادها، لتلبية متطلبات التنمية البشرية في الحاضر، والتخطيط السليم للتنمية في المستقبل. وهو ما تتوجه إليه هذه الدراسة، ضمن المجال التجاري، المنبثق من التاريخ الاقتصادي لليمن.

المحور الثالث: أهمية دراسة التاريخ لخطط وبرامج التنمية الاقتصادية المستدامة

يتضح من خلال الإطار النظري لدراسة التاريخ سعة مفهوم ومدلول الأخير، وشموليته لسائر شؤون الحياة العامة، والخاصة، مما اختصت بها العديد من العلوم الإنسانية، النظرية والتطبيقية، على النحو الذي مر بنا، وهي الشؤون التي تستوعبها برامج وخطط التنمية المستدامة، فالوقوف على وقائع وأحداث حقبة زمنية ما في سائر جوانبها وتفصيلاتها، يفضي بنا بالضرورة المنهجية المتضمنة في جوهرها عنصر الموضوعية العلمية إلى تأمل واكتشاف العقل، الذي خطط وصاغ معالم واقعه، ومعرفة البواعث الكامنة وراء صياغة، وبلورة معالم ذلك الواقع، وفي أي اتجاه سار ذلك العقل، ومصادر تغذيته وإبداعه، وفق إطاره الزمني، والوصول صوب الهدف أو مجموعة الأهداف التي شكّلت ذلك الواقع، ويقود ذلك بالنتيجة إلى معرفة ما تحقق من خطط تتعلق بالتنمية ومداها الزمني، في حدود بيئة ومعطيات ذلك الزمن، ونوعية ومستوى تفكير عناصر المجتمع المنتمية إليه وحدودها المكانية، لتقف الأجيال الراهنة على ما أنجزته المجتمعات البشرية من نجاحات في الماضي، والوقوف المدرَك أمام مالم تنجزه من خطط تنموية، وتتبع أسباب وظروف عدم الإنجاز، وذلك بهدف الاستفادة من مخرجات العقل في رسم ملامح الواقع القائم، وتجاوز الإخفاقات وأوجه القصور التي أحاطت بعقلية مجتمع ذلك الزمن، عند التخطيط والتنفيذ لبرامج التنمية المجتمعية في الحاضر، والبناء عليها لتحقيق النهوض المنشود في المستقبل.

وبإلقاء نظرة سريعة على موقع اليمن الجغرافي، يتضح أهمية هذا الموقع في خدمة أهداف التنمية الاقتصادية المستدامة، إذ تقع اليمن عند الطرف الجنوبي للبحر الأحمر، وتتحكم بمضيق باب المندب، الذي بدوره يتحكم بخطوط الملاحة الدولية، ومن خلاله تعبر ناقلات النفط العملاقة، كما تطل اليمن على المحيط الهندي من الجنوب والجنوب الشرقي، ويقع على جانب منه خليج عدن. وتمتلك شواطئ تمتد بطول ألفين وخمسمائة كلم مربع، من أقصى حدود اليمن شمال غرب إلى أقصى جنوب شرق.[14]

هـذا الموقـع الجغـرافي المميـز للـيمن، جعلهـا تحتـل ركـيزة أساسـية في سـلّم اهتمامـات القـوى الاسـتعمارية عـلى مـر العصـور، فتكالبـت عليهـا تلـك القـوى للسـيطرة عـلى مواردهـا التجارية، والتحكم بشرايينها وممراتها البحرية، وبتجارة العالم المـارة عبرهـا، وإنشـاء قواعـد بحريـة عـلى شـواطئها وجزرهـا الكثـيرة البـالغ عـددها أكـثر مـن مئـة واثـني عشـر جزيـرة في البحـر الأحمـر، أهمهـا جـزر كمـران وأرخبيـل حنـيش وزُقـر، بالإضـافة إلى جزيـرة سـقطرى الواقعـة جنـوب المحـيط الهنـدي. وتقـع أهميـة هـذه الجـزر مـن جوانـب عديـدة منهـا طبيعيـة واقتصـادية، وفي مقـدمتها اسـتثمار ثروتهـا المعدنيـة، والحيوانيـة، والزراعيـة، وفي مجـال السـياحة، الـتي مـن شـأنها أن تـدر عـلى الدولـة اليمنيـة عائـدات وفـيرة مـن العمـلات الأجنبيـة، إذ تمتلـك هـذه الجـزر مقومات سياحية مهمة، تتمثل في المناظر الجمالية، الناتجة عن الشعاب المرجانية الملونة، وممارسة رياضة الغطس للهواة، وفي الاسـتخدامات الطبيـة والعطريـة للأشـجار والنباتـات المختلفة، لاسيما في جزيرة سقطرى، بالإضافة إلى الاستفادة من المواد العضوية، والترسبات المنتجة للمعادن، ذات التركيبة الكيميائية المغمورة في مياه البحر الأحمر.[١٥]

وتقع أهمية هذه الجزر أيضًا من جانب السيطرة العسكرية، فقـد سـعت تلـك القـوى مـن خـلال هـذه السـيطرة إلى إنشـاء قواعـد عسـكرية، لتـأمين خطـوط مواصـلاتها التجاريـة، وحمايـة نفوذهـا الاقتصـادي والسـياسي، والـدفاع عـن مصـادر ثرواتهـا، وذلك من خلال توجيه الحملات العسكرية في الظرف والتوقيت الملائمـين، في حـال سـعت إحـدى القـوى المنافسـة إلى تهديـد مصـالحها، وضـرب نفوذهـا في عمـق أقـاليم سـيطرتها، كمـا كـان عليه الحال أثناء التنافس الاستعماري بين بريطانيا وفرنسا، في القـرنين التاسـع عشـر والعشـرين الميلاديـين، وهـي الفـترة الـتي احتلـت فيهـا بريطانيـا عـدن، عـام ١٨٣٩م، وفرضـت حمايتهـا عـلى جميـع كيانـات الجنـوب اليمـني، وسـواحل الخلـيج العـربي، لتـأمين مصـالحها، وحمايـة مكاسـبها مـن أي اعتـداء، أو هجـوم مـن قبـل فرنسا، أو أي قوة دولية منافِسة.[١٦]

وبناءً عـلى مـا سـبق، فـإن ثمـة جوانـب مشـرقة لموقـع اليمـن الجغـرافي، يمكـن لليمنيـين الاسـتفادة منهـا في تعزيـز أواصـر علاقـاتهم المختلفـة مـع دول العـالم، وفي مقـدمتها العلاقـات الاقتصادية، بما يعود بالنفع عليهم في شتى نواحي الحياة .وغني عـن البيـان، أن مـن شـأن ذلـك أن يخـدم خطـط وبـرامج التنميـة المستدامة، فالدول المتقدمة لاترى إلى الآخر إلا من زوايـة مـا يمتلكـه مـن عناصـر ماديـة تعـزز قوتـه، فيغـدو كيانـاً فـاعلاً، مـؤثرًا ومتـأثرًا بمحيطـه وبالعـالم بأسره. ولـيكن لنـا مـن تـاريخ الـيمن الاقتصـادي وعلاقاتهـا التجاريـة الدوليـة عـلى مـر العصـور أبـرز الشـواهد عـلى مـا حققتـه مـن ازدهـار ورخـاء، بـدأ بإنتـاج اللبـان، وتجـارة الحريـر في العصـور القديمـة، واختتامًـا بتجـارة الـبن في العصور الحديثة.

طريق اللبان (البخور)

طريق اللبانBoswellia sacra ، هـو طريـق تجـارة القوافـل قديمًا، ومعبر تجاري دولي بين الشرق والغرب، يبدأ مـن سـواحل اليمن علي بحر العرب إلى شمال البحر المتوسط، مرورا باليمن وجنـوب الجزيـرة العربيـة، ويتفـرع إلي طـريقين أحـدها يتجـه إلى نجد، ثم العراق وفارس، والآخر يتجه عبر شمال الجزيرة العربية إلى مدينـة البـتراء في الأردن، ومنهـا إلى فلسـطين عـلى البحـر المتوسـط.[١٧] كانـت القوافـل العـابرة مـن طريـق البخـور محملـة بالبخـور والعطـور، والتوابـل، واللؤلـوء، والقصـدير، والمنسـوجات، وريـش النعـام، وغيرهـا مـن منتجـات الشـرق إلى دول أوروبا، فـازدهرت المـدن والمحطـات التجاريـة الواقعـة عـلى طـول هـذا الطريـق، وهـي مـدن ومحطـات تتبـع الممالـك اليمنيـة القديمـة سـبأ وقتبـان وأوسـان ومعـين وحضـرموت، وذلـك مـن خـلال الضرائب التي كان يحصل عليها الأهالي من تجارة اللبان، وقد جرى فيها تبادل المنتجات التجارية المختلفة.[١٨]

واللبان هـو عبـارة عـن مـواد صـمغية وبلاسـم (جمـع بلسـم) طيبـة الرائحـة، مـع إضـافة عـود الصـندل وغـيره مـن المـواد العطرية. ويتم استخراجه بشق الشجرة، فتسيل منها العصارة التي تتجمد في الحال أسفل الشق. ويبدأ شق الشجرة في السنة الثالثة أو الرابعة من عمرها، وذلك خلال شهور مارس إبريل ومايو حتى موسم الحر.[١٩]

ويـذكر المـؤرخ الإغريقـي "سـترابون" إن تجـارة اللبـان جعلـت مـن سـكان جنـوب الجزيـرة العربيـة مـن أغـنى الشـعوب، مسـتدلاً عـلى ذلـك بمظـاهر الأبهـة الـتي عاشـها أهـل سـبأ في القـرن الثـامن قبل الميلاد، فقد كان لديهم - بحسب وصفه - أثاث ضخم من الـذهب والفضـة، وكانـت جـدران وأسـقف منـازلهم مزينـة مـن الـداخل بالعـاج والـذهب والفضـة والأحجـار الكريمـة،[٢٠] كمـا ذكـر هيرودوت أن "جنوب الجزيرة العربية هي البلد الوحيد التي تنتج اللبـان والمُـر.[٢١] وقـد أثمـرت الأمـوال الناتجـة عـن تجـارة اللبـان تأسيس بعـض المـدن، وبنـاء السـدود كسـد مـأرب، واسـتصـلاح أنظمة الري.

لقد كان اللبان يعد من أغلى السلع التي يتم تصديرها إلى مصر، وروما والهند في فترة ازدهاره منذ القرن العاشر قبل الميلاد حتى نهاية القرن الأول قبل الميلاد، بل كان - وفق بعض المعلومات - السلعة الأثمن بين السلع الثلاث: اللبان والمر والذهب. وكان الرومان يطلقون على جزيرة العرب "جزيرة العطور". فقد كانت المصدر الأساسي للبان والزيوت العطرية، والطريق الذي تمر من خلاله عطور الشرق إلى أوروبا والغرب، وبسبب شهرة جنوب الجزيرة العربية بإنتاج وتصدير اللبان فقد دفع ذلك الرومان إلى غزو جنوب الجزيرة العربية، للسيطرة على مصادر تجارة اللبان وإنهاء احتكار أهالي جنوب الجزيرة لها، فقد كانت تكاليف احتكارهم لتجارته باهظة عند الرومان، وأسعاره مرتفعة، فكانت حملة "أليوس جالوس" عام ٢٤ق.م، التي فشلت في تحقيق أهدافها، وذلك لما لاقته من ظروف تضاريسية ومناخية صعبة، وانتشار الأمراض والأوبئة، وللمقاومة التي واجهتها من قبل أهالي جنوب الجزيرة.[٢٢]

كما دفعت تلك الشهرة بعض هواة الرحلات الأوربيين للقيام برحلات إلى جنوب الجزيرة العربية لكشف طريق اللبان، ففي ثلاثينيات القرن الماضي فشل الرحالة البريطاني " السير برترام توماس pertram tomas " في محاولته الكشف عن طريق اللبان، بسبب الكثبان الرملية الكبيرة، التي كشفت بعض الأقمار الاصطناعية(ناسا) عن آثار باهتة لشبكة طرقات تغطيها كثبان رملية، يصل ارتفاعها من ٢٠٠ - ٦٠٠ قدم، كما أظهرت طرقات خاصة بالحيوانات يصل عرضها إلى ١٠٠ متر، وهي مغطاة بأطنان من الرمال.[٢٣]

وقد عرفت الصين ودول الشرق الأقصى أهمية اللبان، وفوائده الطبية، فاستوردت كميات كبيرة منه، عبر موانئ عدن، وقِنا في مملكة حضرموت، والمخا، والساحل العُماني، وتفيد المعلومات الطبية بتعدد استخدامات اللبان لعلاج العديد من الحالات المرضية، كدواء لبعض حالات الحمى، والإسهال، والسعال، وبعض الحالات الرئوية الحادة، وكمرهم للقروح والدمامل، وعلاج التهاب اللثة، وتقوية الأسنان. وكعلاج للاستسقاء، والكبد، والتهابات الأذن، وبعض أمراض العين، والبواسير، وحصى المثانة، وآلام الجنب، ويوقف نزيف الدم، وطارد للبلغم، وعلاج الحكة الجلدية، والجَرَب.[٢٤]

وقد اعتُبر اللبان في مناطق آسيوية عديدة مادة مقدسة، يحرم على العامة استعماله، أو حرقه خارج المعابد. ومن هذه العادة القديمة ظهرت عادة حرق البخور، التي ما تزال تمارس حتى اليوم، كجزء من الطقوس التعبدية في المعابد البوذية، والهندوسية، والكنائس والأديرة.[٢٥] واستخدم اللبان في التحنيط عند قدماء المصريين، وعند تقديم القرابين للمعبودات، وفي الطقوس الجنايزية، والأعياد الدينية، وعند تكريم الأشخاص المهمين، ثم تقديمه كهدايا ثمينة.[٢٦] ورغم توفر أنواع عديدة من اللبان منها اللبان الهندي، إلا أن أجودها هو اللبان الذي تنتجه ظفار وحضرموت وسقطرى في جنوب الجزيرة العربية، بحسب بعض المعلومات. وقد بقي الطلب على اللبان، واستمرار تجارته، رغم محدوديتها حتى العصور الوسطى.[٢٧]

وهكذا يتبين أن لتجارة اللبان أو البخور دور في ازدهار الممالك اليمنية القديمة واستقرارها الاقتصادي، وإن كان البخور في بعض الفترات سببًا للصراع والتنافس بين تلك الممالك للسيطرة على طرق تجارته، واحتكار عائداته المالية الوفيرة، وهو ما يؤكد أهمية هذه السلعة وعظم شأنها بين مختلف السلع التي كان يتاجر بها أهالي الممالك اليمنية القديمة.

طريق الحرير

الحرير هو المادة المستخرجة من دودة القَز، لصناعة المنسوجات الحريرية المتنوعة الأشكال والأحجام. عرف الصينيون الحرير وبرعوا في صناعته منذ ثلاثة ألاف عام قبل الميلاد على وجه التقريب،[٢٨] وقد استفادت اليمن من "طريق الحريرSilk Road "، خلال الألف الأول قبل الميلاد، فقد شكّل طريق الحرير البحري شريانًا حيويًا ربط الصين ببلاد العرب، ومنها موانئ جنوب الجزيرة العربية وشرقها المطلة على البحر الأحمر والمحيط الهندي، وكان التجار اليمنيون يحملون منتجات بلدهم من البخور واللبان والعطور إلى الموانئ الهندية، ويعودون منها إلى اليمن محملين بالسلع الصينية والهندية وأهمها الحرير.[٢٩]

وطريق الحرير هو تعبير أطلقه جيولوجي ألماني يدعى "فردينان فون ريتشهوفن" في القرن التاسع عشر، وهو عبارة عن شبكة طرق برية وبحرية، تمتد وفق بعض التقديرات بطول اثني عشر ألف كيلومتر، ربطت آسيا وبلدان الشرق الأوسط وأوروبا لمئات السنين بروابط تجارية، وثقافية ودينية، وفلسفية، تم من خلالها تبادل السلع والمنتجات، كالحرير، والعطور، والتوابل، والمنسوجات، وكذلك تبادل الثقافات والعلوم، فازدهرت المدن والموانئ الواقعة على طول طريق الحرير، ومنها الموانئ والسواحل اليمنية، وتحولت إلى مراكز تجارية.[٣٠]

وقد أطلق الرئيس الصيني "شي جين بينغ "على مشروع إحياء طريق الحرير مصطلح "الحزام والطريق"، وذلك في خطاب ألقاه في كازاخستان عام ٢٠١٣م، بوصفه الحزام الذي سيربط موانئ جنوب وشرق آسيا وأفريقيا، وصولاً إلى بحار قزوين، والأسود والمتوسط، ويتعدى ذلك إلى دول البحر الكاريبي. وربط "بينغ" مشروع إحياء طريق الحرير بطريق البخور، وذلك لأهميتهما الاقتصادية للدول المطلة على الطريق،[٣١] ووفق بعض الدراسات فقد حقق السبئيون في القرن الثامن قبل الميلاد أرباحًا طائلة من تجارة الحرير التي كانت تمر عبر أراضيهم، وكانوا يحتكرون تجارتها مع البخور والسلع الأخرى،[٣٢] ما يؤكد جدوى استفادة اليمن من إحياء هذا الطريق البحري في التنمية الاقتصادية المستدامة.

ويصف "جين بينغ" هذا الطريق بأنه حزام ذو ملامح اقتصادية بمضمون سياسي، وذلك في إطار التنافس بين الصين والهند، وبين الصين وروسيا، وبين الصين والدول المشاطئة لبحر الصين الجنوبي، التي تتنامى مخاوفها من تغلغل النفوذ الصيني، وتوسعه في مناطق نفوذها التقليدية، في آسيا وأفريقيا.[٣٣]

وطبقًا لـ "بيتر فرانكوبان" فإن تحديات كثيرة تواجه دول طرق الحرير، مثل: الأمن، والسلام، والمياه، والتلوث البيئي، وحقوق الإنسان. وهو ما يستلزم العمل على معالجة هذه الإشكالات، بغية إنجاح مشروع طرق الحرير،[٣٤] وهو ما يهدف إليه مشروع طريق الحرير، في سياق الاستثمار في البنى التحتية والتنمية الاقتصادية، والاجتماعية لسائر الدول المطلة على الطريق،[٣٥] إذ ستبلغ معدلات الإنفاق في مشروعات التنمية في هذه الدول وفق بعض التقديرات نحو ١١٠ مليار دولار سنويًا، خلال الأعوام القليلة المقبلة، منذ أن تم الشروع في تنفيذ واستكمال المشروعات المخططة، بدءًا من العام ٢٠١٣م على الأرجح.[٣٦]

وفي سياق الأهداف التي تزمع مبادرة الحزام والطريق تحقيقها، يذكر بعض الباحثين أن الصين تسعى لتشتيت القوة الاقتصادية والسياسية الأمريكية، وتقليص قدرتها على الهيمنة في أي من الفضاءات الإقليمية، أو الوظيفية، التي تتعارض فيها مصالحها مع المصالح الصينية في آسيا وأفريقيا على وجه التحديد، فضلاً عن تعزيز نفوذ الصين الاقتصادي على طول طريق الحرير، التي يتم تطويرها في إطار تلك المبادرة، بالإضافة إلى محاولة الصين تأسيس نمط إمبراطوري توسعي جديد، يقوم على تعزيز نفوذها وهيمنتها، عبر آليات التشارك الاقتصادية والتنموية. وهي تهدف بهذه المبادرة أيضًا إلى استدامة التعاون والشراكة بين الصين والدول المشاطئة لطرق الحرير.[٣٧] وفي ذات سياق مشروع الصين الطموح لإحياء طريق الحرير، فقد تم رسم خط بري يمر بباب المندب عند سواحل اليمن ثم عبور قناة السويس المصرية.

والبلاد العربية التي حققت فوائد اقتصادية من طريق الحرير القديم بما فيها اليمن مطالَبة اليوم بأن تكون في قلب الطريق الجديدة البرية والبحرية، التي تتبنى الصين مشروع إحيائها، عبر ربط جنوب وغرب آسيا بآسيا الوسطى وتركيا وروسيا، والتي تعيد تشكيل جزء مهم من خريطة العالم وفق تقدير البعض.[٣٨] وعلى وجه التحديد إعادة الدور التجاري المزدهر لميناء عدن، كما كان عليه في العصور القديمة والوسطى، فقد كان لموقع عدن عند المدخل الجنوبي للبحر الأحمر دور كبير في التبادل السلعي التجاري بين الشرق والغرب، ولم يكن تجار الصين والهند، والأوروبيون، والفرس والأتراك، والأفارقة والعرب يتعدونه إلى مراكز تجارية أخرى، كميناءي جدة وينبع، وموانئ ساحل شرق أفريقيا، والخليج العربي المطلة على البحر الأحمر، وهي الموانئ القريبة من ميناء عدن، بل كانت السفن تنقل سلعهم من عدن إلى شرق آسيا، ومن موانئ البحر الأحمر إلى الموانئ المصرية والشامية ومنها إلى الأسواق الأوروبية. وكانت تتوافر في ميناء عدن السلع المختلفة، كالتوابل، والحديد، والنحاس، والزئبق، والمرجان، والملابس الصوفية والقطنية، والحريرية، والعقاقير، والتوابل، والسكر، والأرز، وجوز الهند، واللبان الجاوي، وخشب السند، وعود النَّد، والمِسك. وكان حكام عدن الطاهريون يحصلون على ضرائب ورسوم جمركية وفيرة، مكنتهم من إدارة ميناء عدن، وتلبية جزء كبير من متطلبات دولتهم، قبل تحول طرق التجارة العالمية القديمة، - التي كانت تشرف عليها القوى العربية - على أيدي الرحالة البرتغاليين عام١٤٩٧م من البحر الأحمر والمحيط الهندي إلى طريق رأس الرجاء الصالح، وصولاً إلى مصادر إنتاج التوابل في الهند، فقد كان الطلب على التوابل ملحًّا من قبل الأغنياء والأشراف ورجال الدين الأوروبيين، لاستعمالها في تحسين مذاق الأطعمة، وفي حفظها، ولدخولها في صناعة العقاقير الطبية، وصنع النبيذ، فكانت جزءًا لا يتجزأ من حياتهم اليومية. وقد ربط طريق رأس الرجاء الصالح تجارة الهند ودول شرق آسيا بأوروبا على نحو مباشر، وبأقل التكاليف.[٣٩]

تجارة البن

وخلال العصر الحديث، وتحديدًا فترة مابين القرنين ١٧ و ١٩م عَرف العالم البن اليمني، الذي تُرجع بعض الدراسات اكتشافه في اليمن إلى القرن الثالث عشر- الميلادي، على يد الشيخ الصوفي علي بن عمر الشاذلي،[٤٠] وبعضها ترجع تاريخ زراعته وانتشاره إلى القرن السادس عشر- الميلادي،[٤١] وهو الأرجح بالنظر إلى اتساع نطاق تجارته، وبلوغ أوجها في القرنين السابع عشر والثامن عشر.

وقد طغت شهرة البن على كل السلع والمنتجات العالمية، كأهم سلعة تجارية ونقدية في ذلك الحين، ويمكن القول إنه تحقق لليمن قدر لا بأس به من الاكتفاء الذاتي من وراء تجارته الدولية، التي كانت تدر عليها عائدات وفيرة، شكّلت يومها رافدًا رئيسًا لخزينة الدولة، سواء في ظل الحكم العثماني (١٥٣٨ - ١٦٣٥م)، أو في عهد الإمامة القاسمية (١٦٣٥ - ١٨٧٢م)، وذلك منذ أن اضمحلت عائدات تجارة الموانئ اليمنية، بعد تغيير طرق التجارة العالمية كما أشرنا.

ومن خلال الأرقام التقريبية التي سجلتها لنا بعض الدراسات التاريخية، يتبين أن البن كان أهم سلعة تجارية مربحة بين السلع اليمنية المصدرة عام ١٧٦٢م (في عهد الإمام المهدي عباس بن الحسين)، وهي على النحو التالي:

-إيرادات ميناء المخا في أشهر أبريل - يوليو ٧٠٠٠ ريال شهريًا.

-إيرادات المخا في الأشهر الأخرى ٤٠٠٠ ريال شهريًا.

-إيرادات ميناء اللحية خلال الأشهر من أبريل إلى يونيو ٣٠٠٠ ريال شهريًا.

-إيرادات اللحية في الأشهر الأخرى ٢٠٠٠ ريال شهريًا.

-إيرادات بيت الفقيه ٣٦٠٠ ريال شهريًا.

-إيرادات الحديدة ١٤٠٠ ريال شهريًا.

-إيرادات حراز ١٥٠٠ ريال شهريًا.

-إيرادات حُفاش ١٢٠٠ ريال شهريًا.

-إيرادات زبيد ١٤٠٠ ريال شهريًا.

-إيرادات الجُبّى و رَيْمة ٢٤٠٠ ريال شهريًا.

-إيرادات كُسْمَة ٤٠٠٠ ريال شهريًا.

-إيرادات الحَيْمَتين ١٠٠٠٠٠ ريال شهريًا.[٤٢] ورغم أنها أرقام تقريبية كما سبقت الإشارة، إلا أنها توضح أولوية وأهمية وحجم تجارة البن وفق سعر صرف العملة الريال الفضي (ماريا تريزا) الذي كان يعد العملة الرئيسة المتداولة في الحركة النقدية التجارية، ويتفرع منه عملات أصغر كالبقشة والحرف والخماسي والكبير والباولة.[٤٣]

وقد انعكس جزء كبير من عائدات تجارة البن على العديد من مظاهر البنية التحتية للاقتصاد اليمني أثناء حكم الأئمة من آل القاسم، فاختطت المدن، مثل مدينة الغراس الواقعة شمالي صنعاء التي كانت عاصمة لحكم الإمام المهدي أحمد بن الحسن(١٦٧٦ - ١٦٨١م)، ومدينة معبر التي اختطها الإمام المؤيد محمد بن إسماعيل(١٦٨١ - ١٦٨٥م)، ومدن الخضراء ومسعدة والمواهب التي كانت جميعها عواصم لدولة الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن (١٦٨٥ - ١٧١٨م)، وجرى تحصين بعض الموانئ المهمة كمينائي المخا وعدن، وتشييد الدور والقصور والمساجد،[٤٤] وإنشاء وترميم بعض الدوائر الحكومية، وشق القنوات وعمارة البِرَك وحفر الآبار وشق وتوسيع بعض الغيول وبناء وترميم الحصون والقلاع وأسوار المدن الرئيس،[٤٥] لاسيما في فترة حكم الإمام المنصور علي بن المهدي عباس (١٧٧٥ - ١٨٠٩م) الذي اشتهر ببناء العديد من القصور داخل صنعاء وضواحيها كبئر العزب والروضة.[٤٦]

وتشير الدراسات التاريخية إلَى أن شهرةَ البن اليمني تعود إلَى جودته العالية مقارنة بأَنواع البن المنتجة في العالم، مما ضاعف الطلب عليه والمنافسة بين شركات الهند الشرقية البريطانية والفرنسية والهولندية لاستيراده خلال الفترة من ستينيات القرن السابع عشر- وحتى خمسينيات القرن الثامن عشر، فقد بلغ المعدل السنوي لاستيراد البن من قبل شركة الهند الشرقية البريطانية في النصف الأول من القرن الثامن عشر- أكثر من مليون باوند،[٤٧] وقبل ذلك بلغ أعلى إنتاج للبن اليمني عام ١٧٢٦م، بعد أن أنشأ الهولنديون مصنعًا للبن في منطقة المخا عام ١٧٠٨م، وَقيامهم بتصديره. كما أنشأ الفرنسيون مصنعًا آخر في منطقة المخا عام ١٧٠٩م.

وَخلال تلك الفترة شهدت موانئ المخا والحديدة وَاللحية وجيزان حركة كبيرة لتجارة البن،[٤٨] استمرت حتى نهاية الثلث الأول من القرن التاسع عشر، وكان من نتائج ازدهار تجارة البن في هذه الموانئ أن أغرت محمد علي باشا (١٨٠٥ - ١٨٤٦م) بالتقدم بقواته من الحجاز بعد أن قضى على الدولة السعودية الأولى ١٨١٨م صوب الموانئ اليمنية للسيطرة عليها واحتكار تجارة البن التي كانت تدر على الخزينة المصرية أرباحًا جيدة، عدا عن الكمية المقررة من البن التي كانت تصل عن طريق محمد علي إلى مطابخ السلطان العثماني في إسطنبول، غير أن الإنجليز فوّتوا عليه فرصة استمرار احتكار تجارة البن باحتلالهم

لميناء عدن في ١٩ يناير ١٨٣٩م كما سبقت الإشارة، وإجباره على الانسحاب من الموانئ اليمنية، بموجب اتفاق لندن مع السلطان العثماني عام ١٨٤٠م، ومن ثم احتكارهم تجارة البن وتحويلها من المخا والحديدة إلى عدن.[٤٩]

ووفقًا للمعطيات العلمية فَإن زراعة وإنتاج اليمن من البن بدأ بالتراجع التدريجي منذ بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر؛ بسبب انتقال شجرة البن إلَى مناطق أُخْرَى من العالم كالمستعمرات الهولندية في شرق آسيا، إضَافَة إلَى الوضع السياسي المضطرب بسبب صراعات أئمة آل القاسم على السلطة، وما نتج عن هذه الصراعات من عودة الحكم العثماني إلى الأجزاء الشمالية من اليمن (١٨٧٢ - ١٩١٨م)، وبسبب قطع أشجار البن واستبدالها بشجرة القات، إضافة إلى تأثير الظروف الطبيعية كالجفاف والجراد والأوبئة الزراعية المختلفة.[٥٠] وكانت الأَرْقام الإحصائية - وفق بعض المصادر - قد أشارت قبل ذلك إلى أن صادرات البن اليمنية للعالم وصلت في بداية القرن الثامن عشر إلَى ما يقارب عشرين ألف طن في العام، وهو ما يشير إلَى أن المساحات المزروعة آنذاك كانت أَكْبَر من المساحة المزروعة في الزمن الراهن، ويشير بالتالي إلى تحقق قدر كبير من التنمية الاقتصادية والاجتماعية لليمن في ذلك الحين. ولعلنا لا نبالغ في القول إن أهمية وحجم عائدات تجارة البن اليمني آنذاك تضاهي أهمية وعائدات النفط في التاريخ المعاصر.

ووفقًا للتقارير والنشرات الصادرة من الجهات الرسمية أواخر تسعينيات القرن العشرين فإن تراجع إنتاج زراعة البن في اليمن يرجع إلَى نُدرة المياه، وتخلُّف الأساليب المعتمدة في زراعته، وقِدم عُمر الأشجار وتخلف أساليب التسويق والتصدير، وهو ما قلّل إلى حد كبير من الأَهَمية الاقْتصادية للبن لدى معظم المزارعين وألجأهم إلى زراعة بدائلَ أُخْرى، أهمها التوسع في زراعة القات،[٥١] الذي بدأ ينافس زراعة البن منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر. وفق ما لاحظه بعض الرحالة الأوروبيين، وذلك لارتفاع سعره وملائمة الظروف البيئية لزراعته كما هو الحال بالنسبة لزراعة البن،[٥٢] وقد الْتهم القات مساحاتٍ زراعيةً كبيرة على حساب المحاصيل الزراعية المختلفة، ومنها شجرة البن التي تكاد تندثرُ من بعض المناطق التي اشتهرت بزراعته خلال القرون الماضية.[٥٣]

خَاتِمَةٌ

وهكذا نخلص مما تقدم إلى أن لدراسة التاريخ أهمية كبيرة للتنمية الاقتصادية المستدامة في جانبها التجاري، وذلك على النحو التالي:

أوضح البحث بدايةً أن التنمية المستدامة تشتمل على نشاط جامع شامل للأفراد في سائر قطاعات العمل، سواء في مؤسسات الدولة، أو في منظمات المجتمع المدني.

واتضح أن قيام الحضارات ودور الإنسان في نشأتها، مع إسهام كافة العلوم الإنسانية في صناعتها والتوثيق التاريخي لها، من شأنها مجتمعة أن تصب في بوتقة التنمية المستدامة، التي تُعنى بمنفعة الفرد والمجتمع على حد سواء.

تبين أن من شأن دراسة تجارب الإنسان في الماضي أن تكسب الدارس المعاصر وعيًا يحصنه من الوقوع فيما وقع فيه الأقدمون من أخطاء وتجاوزات، ويعزز إدراكه بضرورة تجاوزها، والتخطيط السليم للتنمية الفردية والمجتمعية في الحاضر والمستقبل.

وتبين أن لتجارة اللبان والبخور التي تنافست عليها الممالك اليمنية، وأغرت الرومان لمحاولة السيطرة على مصادرها واحتكار تجارتها دور في ازدهار اليمن قديمًا، وذيوع شهرتها خارجيًا، وقد حقق اللبان آنذاك العديد من الفوائد الطبية، وفي طقوس الجنائز على النحو الذي مر بنا، وهو ما يدعو المؤسسات الحكومية والأهلية اليوم إلى ضرورة الاعتناء بهذه الشجرة كمحصول نقدي، والعمل على تنميتها، والتوسع في زراعتها وإعادتها لتتبوأ ما كان لها من شهرة ودور تجاري في القِدم.

اتضح أن موقع اليمن في الجنوب الغربي من قارة آسيا ووقوعها على طريق الحرير البحري القديم الذي يربط شرق آسيا بآسيا الوسطى وإيران قد أسهم في نمو حركة التبادل السلعي التجارية في ميناء عدن والموانئ اليمنية الواقعة على البحر الأحمر، واجتذبت إليها التجار من جنوب شرق آسيا، وبلاد فارس، وآسيا الصغرى، وأوروبا، والعرب، ومن شأن مشروع إحياء طريق الحرير القديم الذي تتبناه الحكومة الصينية اليوم أن يعيد هذا الموقع إلى الصدارة، وتفيد منه اليمن في تحقيق مستوى من التقدم والنهوض الاقتصادي، ومقاربة ما كان عليه الحال في الماضي

وأخيرًا أبان البحث عن الأهمية الاقتصادية الكبيرة التي حظي بها البن اليمني، بوصفه أهم سلعة تجارية نقدية في مطلع التاريخ الحديث، وقد ضاهت أهميته آنذاك أهمية النفط في واقعنا المعاصر، فمن خلال البن عرف العالم اليمن، وطغت

شهرته، لجودته وحسن مذاقه، وتحقق لليمن جانبًا غير قليل من الرخاء الاقتصادي، وكان محصول البن يعد الرافد الأكبر الذي رفد خزينة الدولة اليمنية خلال حكم الأئمة القاسميين، إلى جانب عائدات الضرائب والمكوس التجارية الأخرى في الموانئ اليمنية، والأسواق الداخلية، وبسبب طغيان شجرة القات على شجرة البن في المرحلة المتأخرة فقد تراجع إنتاج اليمن من البن، ففقدت البلاد أهم مورد مالي، وتراجعت من ثم شهرتها التجارية في الوقت الحالي مقارنة بما كانت عليه بين القرنين السابع عشر والتاسع عشر الميلاديين أثناء اشتداد المنافسة بين الشركات الأوروبية على احتكار تجارته واستيراده، إضافة إلى انتشار زراعته في بعض دول جنوب شرق آسيا، غير أن العودة إلى الاهتمام بشجرة البن، وتوسيع مساحات الأراضي الصالحة لزراعته، وتشجيع المزارعين على زراعته، وتوفير الإمكانات المالية والمتطلبات اللازمة لنموه وتحسين ظروف إنتاجه من شأنها جميعًا أن تعيد لليمن ما كان لها من شهرة ودور تجاري عالمي، بما يحقق القدرة على تنفيذ برامج وخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية المستدامة.

الاحالات المرجعية:

(١) http://mthmm.blogspot.com/p/blog-page_2823.html?m=1
(٢) https://www.startimes.com/?t=21767997
(٣) https://hashim343434.wordpress.com/2018/04/16/
(٤) https://hashim343434.wordpress.com/2018/04/16/
(٥) صبحي، أحمد محمود: **في فلسفة التاريخ**، الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٧٥م، ص٢٥٩ - ٢٦٥.
(٦) صبحي: **في فلسفة التاريخ**، ص٨٨.
(٧) صبحي: **في فلسفة التاريخ**، ص٢٥٩.
(8) "Development", dictionary.combridge.org, Retrieved 30 - 3 - 2019. Edited
(٩) أيسيسكو، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة: **العالم الإسلامي والتنمية المستدامة**، جوهانسبرج ٢٦ أغسطس - سبتمبر ٢٠٠٢م، مؤتمر القمة العالمي للتنمية المستدامة، الرباط، المملكة المغربية، ص١٣٩.
(١٠) أبو النصر، مدحت: **التنمية المستدامة مفهومها - أبعادها- مؤشراتها**، القاهرة، المجموعة العربية للتدريب والنشر، ٢٠١٧م، ص٧٨ - ٨٥.
(١١) السعدي، محمد يحيى: **الفساد والتنمية**، صنعاء، مركز عبادي للنشر، د.ت، ص ٥١ – ٥٢.
(١٢) أيسيسكو: **العالم الإسلامي والتنمية المستدامة**، ص١٢٥ - ١٤٥، ٢٣٩ - ٢٤٠.
(١٣) أبو النصر: **التنمية المستدامة**، ص٨٣ - ٨٤.
(١٤) أباظة، فاروق عثمان: **عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر**، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٦م، ص١٤٠ - ١٤١.
(١٥) عباس، شهاب محسن: **الجزر اليمنية**، صنعاء، مركز عبادي للدراسات والنشر، ط١، ١٩٩٦م، ص٢٨، ٦٨ - ٧٠.
(١٦) Gavin, R.J: Aden under British Rule 1839 - 1967, London, 1975, p:44 - 47.
(١٧) عبد المولى، أسامة محمد: **تجارة البخور في جنوب الجزيرة العربية في القرن العاشر حتى نهاية القرن الأول قبل الميلاد**، رسالة ماجستير غير منشورة، مصر، جامعة الزقازيق، ٢٠١٣م، ص٤٩ - ٥٢.
(١٨) العمري، هادي صالح: **طريق البخور القديم من نجران إلى البتراء والآثار الاقتصادية عليه**، صنعاء، وزارة الثقافة، ٢٠٠٤م، ص١٤٥ – ١٥٦.
(١٩) عبد المولى: **تجارة البخور**، رسالة ماجستير، ص١٧ - ٢٢
(٢٠) عبد المولى: **تجارة البخور**، رسالة ماجستير، ص٤٣.
(٢١) عبد المولى: **تجارة البخور**، رسالة ماجستير، ص٢٠.
(٢٢) عبد المولى: **تجارة البخور**، رسالة ماجستير، ص٨٧ - ٨٩.
(٢٣)http://www.alshindagah.com/novdec03/shindagah-arabic/٥٥ Al-BAN.htm
(٢٤) عبد المولى: تجارة البخور، رسالة ماجستير، ص٢٣.
(٢٥) http: //www.al-hakawati.net/arabic/souk9.asp
(٢٦) عبد المولى: تجارة البخور، رسالة ماجستير، ص٢٣.
(٢٧) http: //www.alshindagah.com/novdec03/shindagah-arabic-55/AL-BAN.htm
(٢٨) الصايدي، أحمد قايد: **الصين والبلاد العربية تواصل عبر التاريخ - اليمن مثالاً**، ورقة مقدمة إلى ندوة العلاقات العربية الصينية التي نظمها منتدى التعاون العربي الصيني في مقاطعة شنجيانج، ٢٧، ٢٨ يونيو ٢٠١٣م، ص٢٤.

(٢٩) الصايدي: **الصين والبلاد العربية**، ص٢٤.

(٣٠) الصايدي: **الصين والبلاد العربية**، ص٢٤.

(٣١) حمشي، محمد: **التقارب المراوغ - هل تقوض مبادرة الحزام والطريق الفناء الخلفي لروسيا**، طريق الحرير، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢١٤، المجلد ٥٣، أكتوبر ٢٠١٨م، ص١١.

(٣٢) عبدالمولى: **تجارة البخور**، رسالة ماجستير، ص٧٤.

(٣٣) عوني، مالك: **هل تؤسس طرق الحرير لصعود إمبراطورية صينية أم لأفولها**، طريق الحرير، مجلة السياسة الدولية، المجلد ٥٣، أكتوبر ٢٠١٨م، العدد ٢١٤، ص٤.

(٣٤) عرب، إبراهيم: **إلى الصين لا إلى روما طرق الحرير المعكوسة** htt://www.aljazeera. net

(٣٥) الهواسي، نادية: **نظام عالمي بديل**، طرق الحرير، مجلة السياسة الدولية، المجلد ٥٣، أكتوبر ٢٠١٨م، العدد ٢١٤، ص١٨.

(٣٦) عوني: **هل تؤسس طرق الحرير لإمبراطورية صينية أم لأفولها**، مجلة السياسة الدولية، المجلد ٥٣، أكتوبر ٢٠١٨م، العدد ٢١٤، ص٤.

(٣٧) عوني: **هل تؤسس طرق الحرير لإمبراطورية صينية أم لأفولها**، مجلة السياسة الدولية، المجلد ٥٣، أكتوبر ٢٠١٨م، العدد ٢١٤، ص٤.

http:alharf28.com/home(٣٨)

(٣٩) فهمي، نعيم زكي: **طرق التجارة الدولية بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى**، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٣م، ص١٣٦ - ١٣٩، ١٩١ - ١٩٢.

(٤٠) الصفواني، رياض محمد: **تعز في عيون الرحالة في العصر الحديث ١٧٦٢ - ١٩٦٢م**، المؤتمر العلمي الأول لكلية الآداب، جامعة تعز، ومؤسسة السعيد للعلوم والثقافة، تعز عاصمة اليمن الثقافية على مر العصور ٢٥ - ٢٧ مايو ٢٠٠٩م، ج٣، تعز، النيل للطباعة الحديثة، ٢٠١٠م، ص٩١٥.

(٤١) هدهود، ناجي عبد الباسط: **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في تعز في العهد العثماني**، المؤتمر العلمي الأول لكلية الآداب، جامعة تعز، ومؤسسة السعيد للعلوم والثقافة، تعز عاصمة اليمن الثقافية على مر العصور ٢٠٠٩م، ج٣، ص٧٥٧.

(٤٢) الخطابي، أروى أحمد: **تجارة البن اليمني**، صنعاء، المتحدة للطباعة، ط١، ٢٠١٠م، ص٩٣ - ٩٤.

(٤٣) الصفواني، رياض محمد: **موقف العلماء اليمنيين من سياسة أئمة الدولة القاسمية**، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط١، ٢٠١٥م، ص١٠٨ - ١٠٩.

(٤٤) زبارة، محمد محمد: **نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر**، بيروت، دار العودة، د.ت، ص٢٨٢ - ٢٨٣.

(٤٥) الجرموزي، مطهر محمد: **تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار**، تحقيق: عبدالحكيم الهجري، مج١، صنعاء، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ط١، ٢٠٠٢م، ص٧٠ - ٧١.

(٤٦) جحاف، لطف الله أحمد: **درر نحور الحور العين في سيرة المنصور علي ورجال دولته الميامين**، صنعاء، وزارة الثقافة، ط١، ٢٠٠٤م، ص٣٣٦ - ٣٣٨.

(٧٤) الخطابي: **تجارة البن**، ص١٤٩.

(٤٨) الخطابي: **تجارة البن**، ص٥٢ - ٦٦.

(٤٩) مجهول المؤلف: **حوليات يمنية**، تحقيق: عبد الله الحبشي، صنعاء، دار الحكمة اليمانية للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩١م، ص٣٧. وانظر: رمضان، صالح محمود: ذكريات الشوكاني-رسائل المؤرخ محمد بن علي الشوكاني، بيروت، دار العودة، ١٩٨٣م، ص١٧٥ - ١٧٧.

(٥٠) الخطابي: **تجارة البن**، ص١٨٨ - ١٨٩.

(٥١) الخطابي: **تجارة البن**، ص١٩٠.

(٥٢) الصفواني: **تعز في عيون الرحالة**، المؤتمر العلمي الأول لكلية الآداب، جامعة تعز، ومؤسسة السعيد للعلوم والثقافة ٢٠٠٩م، ج٣، ص٩١٥.

(٥٣) الخطابي: تجارة البن، ص١٨٨ - ١٨٩.